برنامج الخاتمة - الحلقة (١٢٦) - اعرف امامك (ج٢٥)
صحائف العقيدة السليمة - القسم(19)
الصحيفة (٤) - شؤون النبوة الخاتمة (ق٦)
الشأن الرابع: بيعة الغدير المحمدية (ج١)
-بنود بيعة الغدير المحمدية
السبت : ٢٥/شهررمضان/١٤٤٢هـ - الموافق ٨/٥/٢٠٢١م
عبد الحليم الغزّي

حديثي في هذه الحلقة في الشأنِ الرابعِ من شؤون النُبوّة الخاتمة.
قد يشيعُ على الألسنة (بيعةُ الغديرِ العَلويّة) ، وهذا الكلامُ صحيحٌ، لكنّنا إذا أردنا أن نُراعي الدقَّة في المصطلحاتِ والعناوين فإنَّ بيعةَ الغديرِ مُحَمَّديَّةٌ قبلَ أن تكونَ عَلَويَّةً، ولذا فإنّني قد أوردتها بحسبِ مذاقِ العترةِ الطاهرة، أوردتها في شؤونِ النُبوةِ الخاتمة.
الشأنُ الرابع من شؤونِ النُبوّة الخاتمة: **بيعةُ الغديرِ الـمُحَمَّديَّة.**
وهذا ما يُؤذي النَّواصب أكثر، لأنَّ النَّواصب يُريدونَ أن يُبعدوْا عنوانَ بيعة الغديرِ عن مُحَمَّد صلَّى اللهُ عليه وآله ويُحاولون إلصاقهُ بعليٍّ فقط كي يجعلوْا القضيَّةَ ترتبطُ بالشيعة دون غيرهم، لأجلِ إنكارها، ولأجلِ التشكيك فيها، بينما واقعُ القُرآنِ المفسَّر بتفسيرِ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد، وواقعُ خُطبة الغديرِ أيضاً الَّتي تُحدِّثنا عن مَضمونِ بيعة الغديرِ، وما جرى على أرضِ الواقعِ في غديرِ خُمّ، كُلُّ تلكَ التفاصيلِ وتلكَ المعطيات تُخبرنا أنَّ البيعةَ مُحَمَّديَّةٌ بالدرجةِ الأولى، فبيعةُ الغديرِ بيعةٌ مُحَمَّديَّةٌ بالأصالة، من هنا جاء العنوان، نحن في أجواءِ العقيدةِ السليمة، لابُدَّ أنِ تكونَ عقيدتنا صافيةً وواضحة، وأن نصفَ الأمورِ بأدقِّ الأوصاف، وأن نضعَ النِّقاطَ بشكلٍ دقيقٍ على حروفِ عقيدتنا كي تَكونَ مُميّزةً ومُشخَّصةً وبَيِّنةً وجلية.
بيعةُ الغديرِ بيعةٌ مُحَمَّديَّةٌ بالأصالة، وإذا أردنا أن نفهم مضمونها لابُدَّ أن نعرف أنَّ لبيعة الغديرِ وجهين:
- وجهٌ ثابتٌ على طولِ مرحلة التأويل.
- ووجهٌ مُتحرِّكٌ بحسبِ زمانِ إمامةِ كُلِّ إمامٍ من أئمَّتنا صلواتُ اللهِ عليهم.
هناك الوجهُ الثَّابتُ لبيعة الغديرِ:
من يوم بيعةِ الغدير وإلى آخر يومٍ من أيامِ الدولةِ الـمُحَمَّديَّة العُظمى، في نهايةِ عصرِ الرّجعةِ العظيمة، على طولِ مرحلة التأويل، هناكَ وجهٌ ثابتٌ يُمكنني أن أُشيرَ إليهِ بهذا التوصيف بهذا التعريف، فبيعةُ الغديرِ من هذا الوجه هي بيعةٌ إلهيَّةٌ مُحَمَّديَّةٌ عَلَويَّة.
نحنُ في الغديرِ:
- بايعنا الله أوَّلاً.
- وبايعنا مُحَمّداً ثانياً.
- وبايعنا علياً ثالثاً.
ولا انفكاك بين هذه العناوين، من خيبتكم في صلواتكم في التشهُّدِ الوسطي والأخير لا تذكرون علياً بعنوانِ الوجوب، بل تتجنَّبون ذكرهُ لأنَّ الخونة في النَّجف أصدروْا لكم الفتاوى من أنَّ ذلك يُبطلُ صلواتكم.
بيعةُ الغديرِ حينما بايعنا فإنَّ بيعتنا كانت: (لله أوَّلاً، ولـمُحَمَّد ثانياً، ولعليٍّ ثالثاً) ، وكُلُّ ذلك بنحو الوجوب القطعي، لا يوجدُ أيُّ انفكاك بين هذه العناوين (الله، مُحَمَّدٌ، عَلي) ، هذا الوجهُ الثَّابتُ لبيعةِ الغديرِ على طولِ خط التأويل، على طولِ مرحلة التأويل، من يوم غديرِ خُمّ وإلى آخرِ يومٍ من عُمرِ الدولةِ الـمُحَمَّديَّة العُظمى في آخرِ عصرِ الرّجعة العظيمة، هذا الوجهُ الثَّابتُ لبيعةِ الغدير.
وهناك الوجهُ المتحرِّك لبيعةِ الغدير:
فبيعةُ الغديرِ في وجهها المتحرِّك زمن إمامنا الحسن المجتبى صلواتُ الله عليه هي بيعةٌ إلهيةٌ مُحَمَّديَّةٌ عَلَويَّةٌ حَسَنيّة، وفي زمنِ الحُسَينِ حُسينيّةٌ، وفي زمن السجَّاد سجَّاديَّةٌ، وفي زمن الباقرِ باقريَّةٌ، إلى زماننا هذا فإنَّ بيعةَ الغديرِ في زماننا هذا (بيعةٌ إلهيةٌ مُحَمّديَّةٌ عَلَويَّةٌ مهدويّة).
بهذين الوجهين تصدُقُ بيعةُ الغدير بالنسبة لنا، هذا هو المضمونُ الإجمالي، أمَّا التفصيلُ فسيأتي بيانهُ بشكلٍ موجزٍ في هذه الحلقة، الحلقةُ مُهمّةٌ جِدَّاً، إنَّها تشرحُ لكم مضمون عقد البيعة الَّذي بايعتم وفقاً لمضمونه بيعة الغديرِ من دون أن تطلعوْا على مضمونِ العقد، حوِّلوا حوِّلوا بيعتكم من بيعة السُّفهاء إلى بيعة الحُكماء، حوِّلوها، حوِّلوها من بيعة الحمير، أتحدَّثُ عن البشرِ الحمير، إلى بيعة الإنسان، إلى بيعة البشر الإنسان، حوِّلوها، واعرفوا مضمونَ بيعتكم حينَ بايعتم، ولا تذهبوا وراء أولئكَ الخونة السَّفَلة الَّذين نقضوا بيعة الغديرِ وبعد ذلك ورَّطونا في بيعة سفيهة، في بيعة حمقاء معَ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد، عبرَ خُطبائهم، عبرَ فضائياتهم، عبرَ تفاسيرهم، عبرَ وكلائهم، عبرَ أولادهم، عبرَ أصهارهم، عبرَ عمائمهم الإبليسيّة القذرة، هكذا فعلوا فينا.
بالنسبة للوجه الثابت : الوجهُ الإلهيّ الـمُحَمَّديّ العَلَويّ، كما قلتُ لكم إنَّها بيعةٌ مُحَمَّديَّةٌ بالأصالة. إذا ما رجعنا إلى الآيةِ السابعة والستين بعد البسملة من سورة المائدة، لاحظوا الخطاب في الآية من أوَّلها إلى آخرها خطابٌ مُوجَّهٌ إلى مُحَمَّد صلَّى الله عليه وآله، لأنَّهُ هو صاحبُ البيعة، وهو مُؤسِّسها، وهو الدَّاعي إليها، وهو الـمُبلِّغُ بها، وهو الَّذي نفَّذها، وكُلُّ شيءٍ من أوَّلها إلى آخرها مُرتبطٌ به، رسالتهُ من دونها تساوي صفراً، الآيةُ هكذا

تقول، فالبيعةُ إذاً مُحَمَّديَّةٌ بالأصالة وبالدرجة الأولى، نحنُ بايعنا مُحَمّداً في بيعة الغدير، عَلِيّ هوَ نَفسُ مُحَمّد، لكنَّني أريدُ أن أصفَ الأمور بوصفها الدقيق، هذه الثقافةُ لابُدَّ أن تنتشرَ في وسطنا الشيعي على الأقل (من أنَّ البيعة هي مع مُحَمَّد)، وحتّى حينما بايعنا علياً بايعنا علياً بأمرِ مُحَمَّد، إذاً البيعةُ بكُلِّ تفاصيلها بيعةٌ مُحَمَّديَّةٌ، خِيانةُ الأُمَّةِ لبيعةِ الغدير خِيانةٌ لِمُحَمَّدٍ وليست خِيانةً لعلي، هي خِيانةٌ لعلي، لكنَّني أتحدَّثُ عن الدقَّةِ في التوصيف.

في الآية السابعة والستين بعد البسملة من سورة المائدة، الخطابُ مباشرةً إلى مُحَمَّد وليس إلى عليّ: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُول** - خطابٌ إلى مُحَمّد - **يَا أَيُّهَا الرَّسُول بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ من رَّبِّك** - فهذا الأمر إليك، وهذا الشأنُ شأنُك، وهذه الرسالةُ رسالتُك - **وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَه** - لأنَّ بيعةَ الغدير هي أصلُ رسالتك، هي جوهر رسالتك، هل تستغربون ذلك؟! لأنَّها عن عليٍ تستغربونها، وإلَّا فإنَّ العلل المركَّبةَ من الأجزاء، يكونُ الجزء الأخير من العلَّة حتَّى لو كا نَ صغيراً هو الأعلى رُتبةً، وهوَ العلَّةُ الحقيقيةُ بكاملها، من دونِ أن يتواصلَ ويتكاملَ الجُزء الأخيرِ من العِلَّةِ مع الأجزاءِ المتقدِّمة فلَن تكونَ علَّةٌ هناك، ولن يتحقَّقَ معلولٌ هناك، ما هي قوانينُ الكون هكذا.

ولذا ماذا نقرأُ في الآيةِ الثالثة بعد البسملة من سورة المائدة؟ ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾، هناكَ دينٌ، ولكنَّهُ بحاجةٍ إلى إكمال، وهذا الإكمالُ كانَ بالجزء الأخيرِ، والجزءُ الأخيرُ هوَ الجزءُ الأهم، هوَ الَّذي يُكمِلُ العِلَّة وسيُوجدُ المعلول، فإنَّهُ سيُكمِلُ الدينَ وسيوجِدُ الهُدى، سيوجِدُ حقيقة الدينِ على الأرض، هذه بيعةُ الغدير.

فبيعةُ الغديرِ مُحَمَّديَّةٌ بامتياز وبالأصالة، إنَّها الجزءُ الأخير من الرسالة الـمُحَمَّديَّة، وفي الوقتِ نفسه فإنَّ الجزء الأخير هو الَّذي يُوجِدُ الرسالةَ بكُلِّها، الجزءُ الأخيرُ من العلَّة المركَّبةِ والرسالةُ مُركَّبةٌ، الرسالةُ مُركَّبةٌ من أجزاءَ كثيرة، وهذا هو الجزءُ الأخيرُ الَّذي يُكمِلُها ويُوجدها كاملةً، وفي الوقتِ نفسه كُلُّ آثار الرسالة ستتحقَّق عبرَ هذه البوابة.

هذا الحديثُ يُشيرُ إلى هذا المضمونِ من بعيد: (**أَنَا مَدينَةُ العلمِ وَعَلِيٌّ بَابِهُا**) ، (**أَنَا مَدينَةُ الحِكْمَة وَعَلِيٌّ بَابُها**) ، (**عَلِيٌّ منِّي بِمَنزِلَة رَأسي من جَسَدي**)، الجسدُ من دون رأس هل هو جسدٌ حي؟! (**عَلِيٌّ منِّي بِمَنزِلَة رَأسي من جسدي**) ، (**عَلِيٌّ جِلدَةُ مَا بَينَ عيني**)، الجلدةُ ما بين العينين إذا اقتلعناها هل يبقى وجهٌ؟ لن يبقى الوجه منتظماً، جلدةُ ما بينَ العينين هي الَّتي تجعلُ الوجه منتظماً، (**عَلِيٌّ جِلدَةُ مَا بَينَ عَيني**)، المضامينُ كلُّها تتَّسقُ اتِّساقاً واضحاً، أنا لا أستطيعُ أن أستعرضَ لكم كلَّ النصوص وكلَّ المضامين فماذا أصنعُ لهذا الوقت الذي يسابقني وأسابقهُ؟!

﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُول بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ من رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَه** - وتستمر الآية تتحدَّثُ عن شؤونِ مُحَمّد - **وَاللهُ يَعْصِمُكَ منَ النَّاس** - ما قا لت الآيةُ: "واللهُ يعصمٌ علياً من النَّاس" لأنَّ الشأن مُحَمّديّ بامتياز، لأنَّ البيعة مُحَمّديَّةٌ بامتياز في كُلِّ تفاصيلها - **يَا أَيُّهَا الرَّسُول** - الخطاب لـمُحَمّد - **بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ من رَّبِّكَ** - التبليغُ كانَ لـمُحَمَّد - **وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَه** - والرسالةُ رسالةُ مُحَمّد - **وَاللهُ يَعْصِمُكَ منَ النَّاس** - والحمايةُ من النَّاس لـمُحَمَّد أيضاً - **إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾، الَّذين كفروْا بأيِّ شيءٍ؟ بما بلَّغ بهِ مُحَمَّد، بأيِّ شيء كفروْا؟ كفروْا بما بلَّغ به مُحَمَّد، فبيعةُ الغديرِ مُحَمَّديَّةٌ بامتياز.

﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي** - أتممتُ عليكم نعمتي؛ ما هي هذه النِّعمةُ الَّتي أتمَّها الله؟ النِّعمةُ مُحَمَّدٌ بالأصالة، وأتمَّها بعليّ، فالأصلُ في النِّعمة مُحَمَّدٌ - **وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**﴾ ، هذا هو إسلامُ مُحَمَّد قبلَ أن يكون إسلامَ عليّ، عليّ هو الَّذي يقول: (**أَنَا عَبدٌ من عَبيده**)، البيعةُ مُحَمّديَّةٌ بامتياز، هذا هو مُرادي من الشأنِ الرابع من شؤونِ النُبوَّة الخاتمة بالعنوان الَّذي ذكرتهُ لكم (بيعةُ الغديرِ الـمُحَمّديّة).

تعالوْا إلى خُطبة الغَدير: خُطبةُ الغديرِ هل هي عَلَويَّةٌ أم مُحَمّديَّة؟ إنَّها خُطبةٌ مُحَمّديَّةٌ من أوَّلها إلى آخرها.

في كتاب (إقبالُ الأعمال) للسيد ابنِ طاووس / المتوفى سنة ٦٦٤ للهجرة، خُطبة الغديرِ لها أكثر من نسخة وهذه نُسخة من نُسخها، ومعَ تعدُّد النسخ لكن المضامين الرئيسة هي هي، هذه من النُسخ المهمَّة والمهمَّة جِدّاً لخطبة الغديرِ لأنَّها جاءت واضحةً في مضامينها، وهذه المضامينُ مُنتشرَةٌ في ما جاء بخصوص فحوى بيعة الغديرِ الـمُحَمَّديَّة.

ماذا يقولُ مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وآله وهوَ يُخاطب المسلمين في جانبٍ من خُطبته: **أَلَا وَإِنِّي عِنْدَ انْقطَاعِ خُطْبَتِي** - يعني بعدَ أن يُتمّ كلامهُ صلَّى اللهُ عليه وآله - **أَلَا وَإِنِّي عِنْدَ انْقطَاعِ خُطْبَتِي أَدْعُوكُم إِلَى مُصَافَحَتِي عَلَى بَيْعَته وَالإِقْرَارِ لَه** - المصافَحةُ مع مُحَمَّد بالدرجة الأولى، وبعدَ أن يُصافحوْا مُحَمَّداً يُصافحوْا علياً، بيعةٌ مُحَمّديَّةٌ كما قلتُ لكم، والكلامُ مُحَمّديّ، والعَقدُ عقدُ بيعة الغديرِ مع مُحَمَّد عقدٌ مُحَمَّديّ، لماذا ثُقِّفنا من أنَّ البيعة عَلَويَّةٌ فحسب؟ لأنَّ حوزتنا تُنظِّمُ عقائدها وفقاً للإيقاعِ النَّاصبي، هذا هوَ السرّ، كُلُّ ما عندنا حتَّى ما عندنا من شيءٍ صحيح فقد جاءَ مذكوراً ومُرتباً وفقاً لإيقاعِ ثقافة سقيفة بني ساعدة، وكُلُّ ذلكَ باختيارٍ من قِبلِ مراجعِ النَّجف، من قِبلِ مراجع سقيفة بني طوسي، مُذْ أسَّس الطوسي حوزة النَّجف سنة ٤٤٨ للهجرة.

هكذا يقول رسول الله: **أَلَا إِنِّي بَايَعتُ للَّه وَعَلِيٌّ بَايَعَ لِي وَأَنَا آخُذُكُم بِالبَيعة لَهُ عَن الله** - البيعةُ مُحَمّديَّةٌ بالكامل.

دَقِّقوْا النظر معي في هذه الكلمات: **أَلَا إِنِّي بَايَعتُ للَّه** - مُحَمَّدٌ يقول: بايَعتُ للَّه، ثُمَّ يقول: وَعَلِيٌّ بَايَعَ لِي، المحورُ مُحَمَّدٌ في الموضوع، ما بين الله وعلي مُحَمّدٌ - **أَلَا إِنِّي بَايَعتُ للَّه وَعَلِيٌّ بَايَعَ لِي وَأَنَا آخُذُكُم بِالبَيعة لَهُ عَن الله** - قلتُ لكم هذا هو الوجهُ الثابت (اللهُ، مُحَمّدٌ، عَلي)،

وَأَنَا آخُذُكُم بِالبَيعة لَهُ عَن اللهِ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسه وَمَن أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيهُ الله فَسَيُؤتِيه أَجْراً عَظِيماً - إلى آخرِ خُطبةِ الرسول صلَّى اللهُ عليه وآله، لكنَّ هذا كلامهُ هذا واضحٌ وواضحٌ جِدّاً في أنَّ مَدار البيعةِ مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وآله.

• ندخلُ في الخطوطِ الإجماليةِ لمضمونِ البيعةِ الـمُحَمَّديَّة.

من هنا بدأ التأسيس:

حين رفعَ أمير المؤمنين، رسول الله رفع أمير المؤمنين وصار بجانبه، بجانب رسول الله، رفع موقفهُ: **ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله: أَيُّهَا النَّاس، أَيُّهَا النَّاس، مَنْ أَوْلَى بِكُم مِنْ أَنْفُسِكُم؟** - هذا هو جذرُ البيعة - **قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُه** - النَّاس هكذا قالوا: (اللهُ وَرَسُولُهُ)، هو الَّذي أولى منَّا بأنفُسنا - **فَقَالَ رَسُولُ الله: أَلَا مَن كُنْتُ مَوْلَاه فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاه** - فمَن كُنت أولى به من نفسه فهذا عليّ مولاهُ هو أولى به من نفسه، اللهُ أولى منَّا بأنفُسنا، مُحَمّدٌ أولى منَّا بأنفُسنا، علي أولى منَّا بأنفُسنا، هذا هو الوجهُ الثابتُ لبيعةِ الغديرِ على طول خطِ حركةِ التأويل..

أولى منَّا بأنفُسنا: (اللهُ سبحانهُ وتعالى، مُحَمّدٌ، عَلِيّ).

أقف عند عليٍّ والأمر هو هو عند الحُجَّة بن الحسن: فإنَّ الوجه المتحرك لبيعة الغديرِ يشتملُ على هذا المضمون؛ يشتملُ على أنَّ الإمام هو أولى منَّا بأنفُسنا، في كُلِّ مقطعٍ من مقاطعِ الأزمنة من أزمنة أئمَّتنا جميعاً، فما كانَ لأوَّلهم فهوَ لآخرهم، وما كانَ لآخرهم فهوَ لأوّلهم.

ما نحنُ هكذا نقرأُ في الزيارة الجامعة الكبيرة، ماذا نقرأُ من عبارةٍ مُهمَّة جداً؟ تدبَّروْا معي في هذه الكلمات، إنَّني أقرأُ من الزيارة الجامعة الكبيرة وتحديداً من (مفاتيح الجنان): **فَمَعَكُم مَعَكُم** - سادتي آلَ مُحمَّد، سادَتي آلَ عَلي، سادتي آلَ فَاطمَة، سَيدي يا بقيّة الله - **فَمَعَكُم مَعَكُم لَا مَع غَيْرِكُم، آمَنْتُ بِكُمْ وَتَوَلَّيْتُ آخِرَكُم بِمَا تَوَلَّيْتُ بِه أَوَّلَكُم، وَبَرِئتُ إِلى الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَعْدَائِكُم** - هذه خُلاصةٌ في قِمَّة روعة التعبيرِ الأدبي تُلخِّص لنا مضمون بيعة الغدير في الوجهين، في الوجه الثابت والمتحرك.

أعودُ إلى أصل البيعة: الَّذي ساقنا وقادنا إلى هنا إلى الزيارة الجامعة الكبيرة، ما بدأت به من ذكر أصلِ البيعةِ الَّتي أسَّس عليها رسول الله في خُطبته وفي عقد بيعة الغدير، مَن هُو أولى بنا بأنفُسنا؟

- (اللهُ، مُحمّد، عليٍّ)، في الوجه الثابت من بيعة الغدير.

- وفي الوجه المتحرك إمامُ زماننا صلواتُ الله وسلامهُ عليه.

إنَّما أُميز لكم بين الوجه الثابت والمتحرك كي تتضح لكم الصورةُ وكي يتجلَّى لكم المعنى واضحاً، وإلَّا ففي منطقِ الحقيقة ليسَ هناكَ من ثابتٍ ولا مُتحرك، لكنَّني أنظرُ إلى ما يجري على أرض الواقع بحسبِ شؤون هذه الدنيا.

أمَّا إذا نظرنا إلى أعمقِ الموضوعات وأعمقِ المعاني في أصلِ الوجود فليسَ هناك من ثابتٍ ومُتحرك في بيعة الغديرِ، هي البيعةُ الَّتي بها سَكنَت السَّواكنُ وتحرَّكت المتحركات، هكذا نخاطبهم في الزيارة الجوادية: (**بِهِم بِهِم، بِهِم سَكَنَتْ السَّوَاكنُ وَتَحَرَّكَتْ الْمُتَحرِّكَات**)، فذلكَ شأنٌ يتجاوزُ عنوانَ الثَّباتِ والسَّكون، وعنوانَ الحركة، السرّ عميقٌ وعميقٌ جداً، لكنَّنا سنبقى محبوسينَ بحدود عالمنا، نحنُ ترابيّونَ، ونحنُ محبوسون في عالمِ التُراب هذا، ومحكومونَ بقوانينِ الترابِ، فعلينا أن نتعاملَ معَ واقعنا من حيثُ هو، (وَرَحِم اللهُ امْرِئاً عَرِفَ قَدرَ نَفْسِه) ، هذا هو قَدرُنا، وعلينا أن نتعاملَ بحدودِ قَدرنا وقيمتنا.

عَلِيٌّ أولى منَّا بأنفُسنا، صاحبُ الأمر كذلك، ما المراد من هذا المضمون؟

لن أقف طويلاً لكنَّني سأعرضُ لكم ما جاء في بعض زياراتهم الشريفة، في مُقدِّمات زيارة وارث، لا زلت أقرأُ عليكم من (مفاتيح الجنان)، في مُقدِّمات زيارة وارث، هكذا نُخاطبُ سيدَ الشُّهداء: **السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْد الله، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَابْنَ رَسُولِ الله، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَابْنَ أَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْن، عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِك وَابْنُ أَمَتِك الْمُقِرُّ بِالرِّقّ** - إقرارٌ بالرقيّة، هل تعرفونَ دلالة ذلك؟ الإقرارُ بالرقيّة؛ فإنَّ العَبدَ وما في يده وما مَلَكَ لمَولاه، هَذَا والحديثُ عن مِلْكٍ عُرفي، الحديثُ هنا عن ملْكٍ حقيقي، فالعَبدُ هنا عقلهُ وقلبهُ ملْكٌ لسيّده، ومن هنا اشتُرِط علينا أن لا نُدخل في عُقولنا وفي قُلوبنا علماً من غيرهم، وأنْ لا نُحرك العقول والقُلوب بفهمٍ من دونِ قواعد فهمهم، فنحنُ ملْكٌ لهم، العَبْدُ وَمَا مَلَك، العَبْدُ وما في يده لمولاه، هذا في العبودية العُرفية، في التملُّك العُرفي لمولى العَبْد لعَبْده، فهوَ لا يستطيعُ أن يتملَّكَ عقلهُ، ولا يستطيعُ أن يتملَّك قلبهُ، لكنَّنا نتحدَّثُ عن سيّد هنا يختلفُ عن الأسياد العُرفيين، هؤلاء هُم السَّادةُ الحَقيقيّون، فهم يَملكون قُلوبنا وعُقولنا، يَملكون إدراكنا، أعطونا حُريَّةً في التصرّف لكنَّهم وضعَوْا لنا القوانين أن نتصرفَ ضمن ما يريدون، ولذا اشترط علينا رسول الله: (أن لا نأخذ التفسير إلَّا من علي، وأن لا يكون الفهمُ إلَّا من عليّ)، لماذا؟ لأنَّ العُقول والقُلوب هي ملكٌ لهم، ما هو هذا الَّذي تعنيه هذه الكلماتُ في زيارة الحُسين صلواتُ الله وسلامهُ عليه، الرقيّةُ هنا ما هي برقيّة عُرفية، فالحُسينُ صلواتُ الله وسلامهُ عليه متى اشترانا من سوق النَّخاسة؟ هذه رقيّةٌ حقيقيةٌ، هذه رقيّةٌ بسببِ أنَّنا من فاضلِ طينتهم، هذه طينَتُهم، طينَتُهم.

عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِك وَابْنُ أَمَتِك الْمُقِرُّ بِالرِّقّ وَالتَّارِكُ لِلْخِلَافِ عَلَيْكُم وَالْمُوَالِي لِوَلِيِّكُم وَالْمُعَادِي لِعَدُوِّكُم - هذا هو مالكي الَّذي أباحَ لي أن أتصرّف بعقلي وقلبي، هي جزءٌ من ملكيّته، فهل أسأتُ التصرّف؟ أم أحسنتُ التصرف؟ ماذا وضعتُ في هذه الأوعية؟ الأميرُ يقولُ لكُميل: (يَا كُمَيل القُلُوبُ أَوْعِية وَخَيرُهَا أَوْعَاهَا)، هذه الأوعيةُ ماذا وضعنا فيها؟

من زيارة وارث نذهب إلى دعاء الاستئذان لزيارة السردابِ الشريف بشكلٍ خاص، ولزيارة مشاهدهم جميعاً، (الاستئذانُ لدخول المشاهد الشريفة)، جاء مذكوراً في بابِ آدابِ الزيارة، قبل زيارة النَّبي والزَّهراء صلَّى اللهُ عليهما وآلهما، فماذا جاءَ في هذا الاستئذان؟ وأنت واقفٌ على سردابِ الغيبة، على بوابة سردابِ الغيبة: **اللَّهُمَّ فَأَذَنْ لَنَا بِدُخُولِ هَذه العَرَصَات الَّتي اسْتَعْبَدْتَ بِزِيَارَتِهَا أَهْلَ الأَرْضِيْنَ وَالسَّمَاوَات** - هذا استعبادٌ بزيارتهم، المعاني دقيقةٌ جداً، ما أنا قُلتُ لكم إنَّها رقيّةٌ حقيقيّةٌ، هذا استعبادٌ بطقوسٍ هي من شؤون التأدّب معهم، فكيفَ سيكونُ الكلامُ مع ذواتهم المقدَّسة؟!

الملائكةُ طُرّاً من الكروبيين وما فوقَ الكروبيين، إلى كُلِّ الملائكة، إلى الروح الَّذي هو أعظمُ من الملائكة، إلى قُطّان الملأ الأعلى مُستعبدونَ بزيارةِ سردابِ صاحبِ الأمر، بزيارة مشاهدهم، أنا أتحدَّثُ في أجواء ثقافة العترة - **وَأَرْسِل دُمُوعَنَا بِخُشُوعِ الْمَهَابَة، وَذَلِّل جَوَارِحَنَا بِذُلِّ الْعُبُودِيَّة وَفَرْضِ الطَّاعَة** - ذَلِّل جوارحنا، تذليلُ الجوارح يأتي مُتفرعاً عن تذليل الجوانح، وأنا قلت لكم: العقولُ والقلوب هي هذه الجوانح إنَّها ملكٌ لسيدها، وهو الَّذي أباحَ

لنا التصرّف في ملكه هذا - **وَذَلِّل جَوَارِحَنَا** - هذه الجوارحُ لن تكون بهذا الوصف ما لم تكن الجوانحُ العقولُ والقُلوبُ بهذا الوصف، ما لم نُذلِّلها لسيدها، وكيفَ نُذلِّلها؟ نُذلِّلها عبرَ العقيدةِ السليمة.

في دُعاء وِدَاعِ الزيارة الجامعة الكبيرة هذا الدعاءُ ورد في أخريات (مفاتيح الجنان) أنا أقرأ عليكم من مفاتيح الجنان، وعنوانهُ: (الوِدَاعُ للأئِمَّةِ عليهُم السّلام)، الوِدَاعُ للأئمَّة عليهُم السَّلام وقد يُقال الوَدَاعُ، فماذا جاءَ في دعاء الوِدَاعِ هذا؟

بِأَبِي أَنْتُم وَأُمِّي وَنَفْسِي وَمَالِي وَأَهْلِي - فكُلُّ ذلكَ من أملاكهم بحسبِ الرقيّة، هُم أولياءُ النِّعم - **بِأَبِي أَنْتُم وَأُمِّي وَنَفْسِي وَمَالِي وَأَهْلِي** (عَبْدُكَ وَابْنُ عبدك وَابْنُ أَمَتك الْمُقِرّ بِالرِّقّ) ماذا نطلبُ منهم؟ - **اجْعَلُونِي مِنْ هَمِّكُم** - اجْعَلُونِي مِنْ هَمِّكُم؛ هذا الَّذي سألَ الإمام الرضا من أصحابه من شيعته، فقَال لهُ: (يَابنَ رَسُول الله، مَا لِي مِنَ الْمَنزِلَة عِنْدَك؟ - يسأل الإمام الرضا أنَ يخبره عن منزلته عند الإمام الرضا، هذا الشيعي يسألُ عن منزلته عند الإمام الرِّضا، الإمامُ هكذا قال له: قَالَ انْظُر إِلَى قَلْبِك مَا مَنْزِلَتِي أَنَا - أَنَا الرِضَا - عِنْدَك، بِقدرِ مَا لِي مِنَ الْمَنْزِلَة عِندَك فَلَك مِنَ الْمَنْزِلَة عِنْدِي)، قَانونٌ واضح.

بِأَبِي أَنْتُم وَأُمِّي وَنَفْسِي وَمَالِي وَأَهْلِي اجْعَلُونِي مِنْ هَمِّكُم - حينَ نطلبُ منهم أن يجعلونا من همَهم، (الدُّعَاءُ من دُونِ عَمَلٍ كَالقَوسِ بِلا وَتَر)، ولابُدَّ أن يكونَ العملُ منسجِماً مع مضمونِ الدعاء، فَالإنسانُ مثلاً في مكانٍ تكثُر فيه المخاطر، ويدعو الله أن يدفع عنهُ المخاطر، لابُدَّ أن يُجنِّب نفسهُ بقدرِ ما يستطيع، لا أن يُعرِضَ نفسهُ متهوراً للمخاطرِ ويدعو، هذا الدعاءُ لا يستجابَ، (الدُّعَاءُ من دُونِ عَمَلٍ كَالقَوسِ بِلا وَتَر)، هذه ثقافةُ العترة الطاهرة، ولابُدَّ أن يكون العملُ من سنخيّة مضمو ن الدعاء، أن يكونَ مُنسجماً مُتَّسقاً مُتناسقاً مع مضامين الدعاء، قطعاً بقدرِ ما يستطيعُ الإنسان، فحينما نتوجَّهُ بالدُّعاء وبالطلبِ وبالتوسُّلِ نُطالبهم اجْعَلُونَا من هَمِّكم - **اجْعَلُونِي مِنْ هَمِّكُم وَصَيِّرُونِي فِي حِزْبِكُم** - اجعَلُونِي من هَمِّكُم؛ لابُدَّ أن يكون هَمّنا الأوّلُ والأخيرَ فيهم.

متى يكونُ هَمّنا الأوّل فيهم؟ حين تكونُ العُقولُ والقُلُوب مُمَهّدةً لهم، حينَ نُعيدُ ملكيّتها لهم، هُم مَلَّكُونا إيّاها تمليكاً عرضياً، وأعطونا الحرية في التصرف فيها، إذا أردنا أن نكونُ أوفياء لهم، وأن يكون هَمّنا الأكبر هُم صلواتُ الله عليهم، أن نُوظِّفَ العُقولَ والقُلُوبَ لهم، وذلكَ لا يكونُ إلَّا عبرَ تطبيقِ ميثاقِ بيعة الغدير، أن تكونَ العُقولُ والقُلوبُ محلاً للثقافة العَلَويَّة، للمنطَقِ العلويّ، أن لا نأخذ التفسيرَ والفقهَ والفكرَ والعقيدةَ وكُلَّ ما يرتبطُ بعلمِ الدين إلَّا من عليٍ وآلِ عليّ، هذا هوَ مضمونُ بيعة الغَديرِ في جهةٍ من جهاتها في الوجه الثابت..

في دعاء علقمة، وهو الدعاء المرويّ عن إمامنا الباقرِ صلواتُ الله وسلامهُ عليه، الَّذي رواهُ علقمةُ الحضرمي، يُقرأُ بعدَ زيارةِ عاشوراء، الخطابُ لهم، وتحديداً في دعاء علقمة الخطابُ لأميرِ المؤمنين وللحسين، فإنَّ الدُّعاءَ يُقرأُ بعد زيارة للأمير وزيارةٍ للحُسين، هذا هو الطقسُ الكامل لزيارة عاشوراء مع دعاء علقمة، لكنَّ الكلام مُوجَّهٌ لهم جميعاً لـمُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد صلواتُ الله وسلامهُ عليهم: **لَيْسَ لِي، لَيْسَ لِيَ وَرَاءَ الله وَوَرَاءَكُم يَا سَادَتِي مُنْتَهَى** - أنتم سَادتي، عقلي لكم، قلبي لكم، (فَمَعَكُم مَعَكُم لَا مَعَ غَيرِكُم آمَنْتُ بِكُم وَتَوَلَّيتُ آخرَكُم بِمَا تَوَلَّيتُ بِهِ أَوَّلَكُم وَبَرِئتُ إِلَى الله من أَعْدَائِكُم)، الكلماتُ الَّتي قرأتها عليكم قبل قليلٍ من الزيارة الجامعة الكبيرة، (فَمَعَكُم مَعَكُم لَا مَعَ غَيرِكُم).

أستعرِضُ بشكلٍ سريع بين أيديكم أهمَّ تفاصيلِ عقدِ بيعةِ الغديرِ الـمُحَمَّديَّة، بايعنا مُحَمَّداً على هذا، وبايعنا علياً كذلك، وبايعنا فَاطِمَة والحَسَن والحُسين إلى إمامِ زماننا بايعناهم جميعاً:

الأمرُ الأوَّل : وهو واضحٌ جدّاً فيما يرتبطُ بمصدر العلم الديني، إنَّنا بايعنا ووقَّعنا على هذا العقد أن يكون مصدرُ علمنا الديني عليّ وآلُ عليّ فقط، ولكن ماذا فعلت حوزةُ النَّجـ ـف؟ نقضت وخانت وغدرت، وبعد ذلك أخذوا يضحكون علينا، استحمرهم إبليس وقَادهم إلى عيونِ النَّواصبِ القذرة، وصنعوا منَّا حميراً لغبائنا وسفاهتنا، جعلونا حميراً لهم ولأبنائهم وأصهارهم، وتركنا عقيدتنا السليمة بسببِ ضلالهم وسُخفهم وسفاهتهم.

هكذا اشترط علينا مُحَمّد صلى الله عليه وآله في بيعة الغدير الـمُحَمَّديَّة:

مَعَاشِرَ النَّاس، تَدَبَّرُوْا القُرْآن وَافْهَمُوْا آيَاته وَمُحْكَمَاته وَلَا تَتَّبِعُوْا مُتَشَابِهَه - كيفَ ذلك؟ كيفَ نستطيعُ أن نقوم بذلك؟ - **فَوَالله** - يُقسمُ مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وآله - **فَوَالله لَا يُوضِّحُ تَفْسِيرَهُ إِلَّا الَّذي أَنَا آخذٌ بِيَدِه وَرَافِعُهَا بِيَدي وَمُعَلِّمُكُم أَنَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهُوَ مَوْلَاه وَهُوَ عَلِيّ** - هَذا كلامُ مُحَمّد، واضحٌ، واضحٌ جِدّاً، لقَد بايعنا أن يكون مصدرَ العلم الدينيَ هو علي فقط، عليّ وآلُ عليّ، هذا مصداقٌ من مصاديقِ أنَّ علياً هوَ أولى منَّا بأنفُسنا، هو أولى منا بعقُولنا، لأنَّهُ معصومٌ كامل، لو لم يكن معصوماً كاملاً لَمَا كانَ الأولى بعقولنا، الغريبُ أنَّنا نُسلِّمُ عقولنا لأناسٍ تافهين، لأناسٍ مُتخلِّفين، ولا نُسلِّم عُقولنا لعليَ وآلِ عليّ.

جهةٌ أخرى نحنُ بايعنا عليها:

- نحنُ بايعنا على أن يكونَ مصدرُ العلم الديني أن يكونَ علياً، علياً وآلَ عليَ فقط.

- وبايعنا أيضاً أن تكونَ طريقةُ تفكيرنا بحسبِ منطقِ عليّ.

على سبيلِ المثال والأنموذج، أيضاً بايعنا على هذا الأساس:

رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وآله يقول لنا مُشترطاً علينا شروطهُ في بيعة الغدير: **إِنِّي قَدْ بَيَّنْتُ لَكُم وَفَهَّمْتُكُم هَذَا عَلِيٌّ يُفَهِّمُكُم بَعْدِي** - ثُمّ يستمرّ حديثهُ الَّذي قرأتهُ عليكم قبل قليل: **أَلَا وَإِنِّي عِنْدَ انْقِطَاعِ خُطْبَتِي أَدْعُوكُم إِلَى مُصَافَحَتِي عَلَى بَيعَته وَالإِقْرَارِ لَه** - على هذه المضامين - **أَلَا إِنِّي بَايَعْتُ لِلَّه وَعَلِيٌّ بَايَعَ لِي وَأَنَا آخُذُكُم بِالْبَيعَةِ لَهُ عَن الله فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِه وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيهُ الله فَسَيُؤتِيه أَجْراً عَظِيْماً** -

هذا هو الَّذي اشترطهُ رسول الله في بيعته الـمُحَمَّديَّة علينا: **إِنِّي قَدْ بَيَّنْتُ لَكُم وَفَهَّمْتُكُم هَذَا عَلِيٌّ يُفَهِّمُكُم بَعْدِي** - هَذَا عَلِيّ يُفَهِّمُكم بَعدي؛ قواعدُ التفكير، طريقةُ التفكير، قواعدُ الفهم، طَريقةُ التفهيم، نحنُ نتحدَّثُ في أجواءِ العلم الديني، في أجواءِ القُرآنِ وفي أجواء ثقافة العترة الطاهرة، مثلما قال رسول الله: (**فَوَاللهِ لَا يُوضِّحُ تَفْسِيرَهُ إِلَّا عَلِيّ**).

موازينُ التقييم:

حينما أقولُ موازينُ التقييم؛ موازين تقييم البشر، فنحن لا نهتمُ كثيراً بموازينِ تقييم الحيوانات، رُبّما المختصون بشؤونِ الحيوانات يهتمون بموازين تقييمها، لكنَّنا نتحدَّثُ في مجال الدينِ والعقيدة، في مجال العلمِ الديني، موازين التقييم وفقاً لبيعة الغدير هذا هو الميزان: (**اللَّهُمَّ وَالِ مَن وَالَاه، وَعَادِ مَن عَادَاه، وَانْصُر مَنْ نَصَرَه، وَاخْذُل مَنَ خَذَلَه**)، هذا هو ميزان التقييم، قايسوا فتاوى مراجعكم الَّتي تُساوي بينَ من يُوالي علياً ويُعادي علياً، نقضوا بيعة الغدير أو لا؟

هذه موازينُ التقييمِ الَّتي على أساسها نُقَيمُ ا لنَّاس ونُحدِّد علاقاتنا، في داخلِ الوسط الشيعي وفي خارجِ الوسط الشيعي، قطعاً كُلُّ زمانٍ بحدوده، كُلُّ مكانٍ بخصائصه، وكُلُّ وضعٍ بملابساته، بحدودِ الحكمة، وبحدودِ تعاليمِ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد، بالحدود الَّتي رسموها لنا، أنا لا أتحدَّثُ عن تهورٍ هنا، وعن إساءة للآخرين، وإنَّما علينا أن نُشخِّص الأمور، وأن نصفَ الأشياء كما هي، وأن نضع النقاط على الحروف بقدرِ ما نستطيع، وفقاً لهذا القانون: **اللَّهُمَّ وَالِ مَن وَالَاه وَعَادِ مَن عَادَاه وَانْصُر مَنْ نَصَرَه وَاخْذُل مَن خَذَلَه** - هذهِ هي الموازينُ الَّتي اشتُرِطت علينا.

أشير إلى نُقطة وأختمُ الحديث:

في عقد بيعة الغدير اشتُرِط علينا أنَّ البناء العقلي والتكوين المعرفي مادتهُ (مضمونُ بيعة الغدير)، هكذا يقول مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وآله: (**إِنَّما أَكْمَلَ اللهُ لَكُم دِينَكُم بِوَلَايَتِه وَإِمَامَتِه**)، وواضحٌ عندنا: مَن لا دينَ لهُ لا عقلَ لهُ، ومن لا عقلَ لهُ لا دينَ له، فديننا عقلنا، وعقلنا ديننا، قطعاً هذا المضمون عميقٌ جِداً، نحنُ لا نتحدَّثُ عن عقلٍ مناشئه من أيِّ مكان، نتحدَّث عن عقلٍ مناشئهُ من عُمقِ ثقافةِ الكتابِ والعترة، من عُمقِ ثقافةِ الكتابِ المفسَّرِ بتفسيرهم، ومن عُمقِ ثقافةِ حديث العترة المفهومِ والمفهَّمِ بقواعدِ تفهيمهم.